التداولية الجوهر والمفهوم

Pragmatics essence and concept

سمية مويلح

كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة جيلالي ليابس–سيدي بلعباس، الجزائر

soumiamouilah@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/03/23 تاريخ القبول: 2022/05/14 تاريخ النشر : 2022/06/04

ملخص:

التداولية اتجاه لساني متنوع المصادر متشعب المنابع، يعنى بالبحث في استعمال اللغة وتطبيقاتها من طرف المتكلمين، ضمن سياقات التواصل، وتجمع التداولية بين مجالات متنوعة من العلوم كالفلسفة واللسان والمنطق والاجتماع وعلم النفس، وهي تعتمد في هذا على إحداث الانسجام بين مقصد المتكلم ومقصد النص ومقصد المتلقي.

كلمات مفتاحية: التداولية، استعمال، متكلم، سياق، تواصل، مقصد.

Abstract:

Pragmatics is a linguistic trend with diverse sources, branched out, and concerned with researching the use of language and its applications by the speaker within the contexts of communication.The text and the destination of the recipient.

Keywords: pragmatic; use; speaker; context; communication; intent .

1. مقدمة:

التداولية مصطلح تجاذبته أطراف متعددة الروافد فلسفية ومعرفية، حتى غدت همزة وصل بين علوم اللسانيات والمنطق والسيميائية والفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع.

كان اهتمام النقاد منحصر في المؤلف وحيثيات حياته، ثم أصبح النص هو المحور الأساسي للدراسات، إلا أن هذا الطرح وبعدما توسعت دائرته ما لبثت انحسرت بعد أن قيد البحث اللساني في حدود النص، فكانت هذه الحيثيات إيذان للبحث عن وسيلة تجمع بين داخل النص وخارجه، فكانت التداولية هي المنقذ لهذا الموقف وفق"تحول منهجي غايته إضفاء نظرة أكثر شمولية على اللغة، وبالتالي، للسانيات وفق منظور مغاير محوره أن اللغة فعل تواصلي لا يمكن إدراكه إلا كسلوك إنساني شامل في إطار وضعيات تفاعلية تواصلية[1]"، فلم تأت التداولية لإتمام مسار المناهج اللسانية الشكلانية، ولم تنطلق بالتوازي معها بل جاءت لتصحح وتملأ الفجوات التي ظهرت نتيجة الإفراط في الاهتمام بالنص.

والتداولية ليست وليدة رؤية تواصلية فقط، "وإنما عن نظرية معرفية، وعليه يتبين بوضوح استحالة الابقاء على علم الدلالة وحده لحل المشاكل المطروحة ومن ثمة ضرورة الأخذ بالمقومات التي تحيط بالاستعمال اللغوي[2]"، تعمل التداولية إذن على تحقيق الانسجام بين أفعال القول والسياقات المتعدد الجوانب، ويجد المتأمل لهذا الطرح علاقة وطيدة بين التداولية والدلالة والنحو.

2. التداولية

1.2 لغة:

جاء في مقاييس اللغة لابن فارس(د و ل) الدال والواو اللام أصلان من الفعل الثلاثي دول، "وهي على أصلين: أحدهما يدل على تحول شيء من مكان إلى مكان، والآخر يدل على ضعف واسترخاء.

فأما الأول فقال أهل اللغة: أندال القوم، إذا تحولوا من مكان إلى مكان. ومن هذا الباب تداول القوم الشيء بينهم: إذا صار من بعضهم إلى بعض، والدولة والدولة لغتان، ويقال بل الدولة في المال والدولة في الحرب، وإنما سميا بذلك من قياس الباب، لأنه أمر يتداولونه، فيتحول من هذا إلى ذاك ومن ذاك إلى هذا[3]".

أما طه عبد الرحمان فقد جاء بتعريف للتداولية يقول فيه:"تداول الناس كذا بينهم يفيد معنى تناقله الناس، وأداروه فيما بينهم ومن المعروف أيضا أن مفهوم النقل والدوران مستعملان في نطاق اللغة الملفوظة... فيقال: نقل الكلام عن قائله يعني رواه عنه...ويقال دار على الألسن بمعنى جرى عليها،...فالنقل والدوران يدلان في استخدامهما اللغوي على معنى التواصل، وفي استخدامهما التجريبي على معنى الحركة بين الفاعلين...فيكون التداول جامعا بين اثنين هما التواصل والتفاعل، فمقتضى التواصل يكون القول موصولا بالفعل[4]"، فالتداول هو إخراج اللغة الى الاستعمال الفعلي الذي يجسده التفاعل والتواصل بين المتكلمين.

2.2 التداولية اصطلاحا:

التداولية ترجمة لبراكماتيكس Pragmatics باللغة الإنجليزية بمعنى المذهب اللغوي التواصلي الجديد الذي يفسر كثيرا من الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال، ويدمج هذا المذهب مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره، وعليه فالتداولية ليست علما لغويا محضا، فهي تمثل حلقة وصل هامة بين حقول معرفية عديدة منها: الفلسفة التحليلية، ممثلة في فلسفة اللغة العادية، ومنها علم النفس المعرفي مثلا في نظرية الملاءمة، ومنها علوم الاتصال، واللسانيات بطبيعة الحال.

والتداولية ترجمة أيضا ل براكماتيك Pragmatique باللغة الفرنسية بنفس المعنى السابق، وليست ترجمة للمصطلح براكماتيسم Pragmatisme بالفرنسية، لأن هذا الأخير يعني "الفلسفة النفعية الذرائعية"[5].

يعود استخدام مصطلح التداولية براكماتيك Pragmatic إلى الفيلسوف الأمريكي "شارل موريس Charles Morris"، الذي أطلقه سنة 1938م على فرع من فروع علم العلامات لا سيميوتيك la sémantique ما أنتج أنماطا متعددة للتداولية، فظهرت التداولية الاجتماعية، والتداولية اللسانية، والتداولية التطبيقية والعامة[6]، وفصل موريس بين علم التركيب وعلم الدلالة والتداولية. إلا أن ظهورها الفعلي فقد كان العام 1955م مع "جون أوستين John Austin" بإلقائه لمحاضراته بجامعة هارفارد والتي عنونها " ويليام جيمس لاكتيرس William James lectures"، أما إرساء معالمها بجلاء فقد كان مع "شومسكي Chomsky"، و"ميلر Miller"، و"نيوال newell"، و"سيمون Simon"، و"مينسكي Minsky"، و"ماك كولوك Mc Culloch"[7].

لم تستقل التداولية كدرس لغوي قائم بذاته إلا في العقد السابع من القرن العشرين على يد مجموعة من فلاسفة اللغة الذين عملوا على صياغة مفاهيمها ووضع قواعدها على رأسهم: "أوستين John Austin" ، و"ج.ر. سيرل J.R.Searle"، و"ب.جريس P.Gris"[8].

3. التداولية في الدراسات النقدية الغربية:

1.3 عند شارل موريس:

تجاوز شارل موريس حدود الجملة إلى المرسل والمتلقي وكذا الحيثيات التي تكتنف العملية التواصلية، وقد ميز المجالات التي تدرس اللغة في مستويات ثلاثة هي:

"**علم التركيب:** ويعنى بدراسة العلاقات الشكلية بعضها ببعض، علم الدلالة: ويدرس علاقة العلامات بالأشياء التي تدل عليها أو تحيل إليها، التداولية: وتهتم بدراسة علاقة العلامات

بمفسريها، وتدرس كل ما له علاقة باللغة، سواء أكان يعنى بشكل الخطاب من لغة أو إيماء أم بدلائلها أم بالدلالة وعلاقتها بالأشياء والحسيات الخارجية أم بالعلامات والإشارات، واستنتاجات الكلام، أم بالفهم الضمني دون الحديث، لتتم عملية التبليغ على أحسن وجه[9]"، فعل التركيب وعلم الدلالة لا تكتمل مهمتهما إلا بجهود التداولية التي تعنى باللغة من كل الجوانب التركيبية والتواصلية والإيمائية والتصريحية، فالقراءة التداولية تدرس كيفية بناء العلامات لعلاقاتها مع مستعمليها ملتحمة مع التركيب والدلالة في علاقة متكاملة.

ويرجع هذا التبويب إلى بيرس الذي ميز بين" المواد الدالة والمدلول أو الممثل والمؤول[10]"، فالتداولية عنده تتميز عن غيرها من ميادين البحث اللغوي في كونها تقوم على دراسة الاستعمال اللغوي، أي تعنى برصد علاقات العلامات بمستعمليها.

2.3 فرانسواز أرمينيكو واللسانيات التداولية:

تذهب فرانسواز أرمينكو إلى أسبقية الدراسة التركيبة والدلالية، إذ "تفترض اللسانيات التداولية مسبقا كلا من الدراسة التركيبة والدلالية، لأن المناقشة الحصيفة السديدة لعلاقات الأدلة بمؤوليها تستلزم معرفة علاقات الأدلة بعضها ببعض، كذا علاقة الأدلة بالأشياء التي يحيل عليها المؤلفون[11]"، فالتداولية يمكن أن نطلق عليها علم استعمال اللغة، ذلك أنها تبحث في فضاء الاستعمال الذي ينطوي على مقاصد المستعملين.

والتداولية هي "دراسة جوانب السياق التي تشفر كليا في تراكيب اللغة، وهي عندئذ جزء من مقدرة المستعمل[12]".

3.3 كارل بوهلر واللسانيات الحركية:

ونجد المفكر كارل بوهلر الذي أراد إيجاد مسار مغاير يبتعد به عن اللسانيات الصورية فأصبح يناضل "من أجل لسانيات ديناميكية غير سكونية، من لسانيات النشاط اللغوي، حيث تنصرف مهمة اللساني إلى دراسة الاستعمال البشري الخاص للدليل[13]"،أي أنه أراد توسيع دائرة اهتمام اللسانيات إلى أكثر من التبليغ، إلى التواصل والتأثير في جمهور المتلقين. استحدث بوهلر أربع وظائف للفعل اللغوي يستعملها المتلقي لفهم مقاصد المرسل هي:" وظيفة التمثيل.

- وظيفة التعبير.
- وظيفة النداء.
- الوظيفة المزدوجة التي تجمع بين التعبير والنداء[14]".فقد كان ديدن بوهلر تحقيق العملية التواصلية بين المرسل والمرسل إليه، ذلك أن المرسل يمارس كل أنواع الترميز للتأثير على المرسل إليه.

4.3 فيليب بلاشيه:

التداولية في طرحها اللساني، مجموعة من البحوث المنطقية اللسانية، وهي الدراسة التي تعنى باستعمال اللغة وتهتم بقضية التلاؤم بين التعابير الرمزية والسياقات المرجعية والمقامية والحديثية والبشرية[15]، ذهب بلاشيه إلى الجزم بأن التداولية تعمل على نقل اللغة من قيد النص إلى بهو الملفوظ، إذ هي الدراسة التي تهتم باللغة داخل الخطاب، تنظر في الوسيمات الخاصة به قصد تأكيد طابعه التخاطبي[16].

يمكن وصف التداولية بالعالم الغامض ونجد من النقاد من ذهب إلى أنها"جرابا جديدا توضع فيه الأعمال الهامشية التي لا تنتمي إلى الاختصاصات المؤسسية، وهي اللسانيات وعلم الاجتماع والأنثربولوجيا، وعلم النفس الاجتماعي، والدلائلية،...نحو المشاكل التي أثارتها هذه الاختصاصات ولم تتوصل إلى معالجتها بشكل مرض[17]"، فالتداولية تهتم

بكل ملابسات العملية التواصلية لكي تحدث انسجاما بين مقصد المتكلم ومقصد النص ومقصد المتلقي أيضا.

5.3 جيفري ليتش:

يقول: "لا نستطيع حقيقة فهم طبيعة اللغة ذاتها إلا إذا فهمنا التداولية: كيف نستعمل اللغة في الاتصال[18]"، فالتداولية أبعدت اللغة عن كل معيارية، لتدخلها في ميدان التواصل والاستعمال من مقاصد متكلمين وسياقات حديث.

6.3 فان دايك:

يعتبر كتاب (النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي) لفان دايك الذي قام بترجمته عبد القادر قنيني، عن دار إفريقيا الشرق، الطبعة الثانية، 2000، مرجعا رائدا في مجال التداولية، فهو ملخص اجتهاد أراد من خلاله فان دايك أن يوسع مجموعة أبحاث منذ أن نشر أطروحته سنة 1972، عن بعض معاني ضروب النحو، ويصف بحثه بالمتواضع ثم يصرح قائلا: "فبدلا من ابتكار إطار واسع البرمجة، فضلت أن أبحث بحثا مستفيضا في بعض المفاهيم الأكثر خصوصية، والمتعلقة أساسا بموضوعات نظرية الخطاب، أعني مفاهيم مثل الترابط، والاتساق، ومحل الخطاب، والعلاقات بين السيمانطيقا والتداولية والخطاب[19]"، فكان توجيه الاهتمام بهذه المفاهيم بوابة للانطلاق بعيدا عن قيود الجملة، ولعل "وصف الخطاب باعتبار متوالية الجمل يتطلب في ذات الوقت تفسيرا لشروط متوالية أفعال الكلام[20]"، فكانت دراسته أكثر وضوحا وترتيبا للبحث اللساني في الخطاب.

إن منطلق البحث التداولي هو النحو إذ" إن الدراسة اللسانية للخطاب من حيث كونها جزءا من أعم دراسة للغة الطبيعية، ينبغي أن تشترك أغراضها ومقاصدها الأساسية

مع النظريات اللسانية بوجه عام ومع علم النحو بوجه خاص[21]"، لكي يتحقق التناسق بين ما يمليه النحو وبين ما تقتضيه اهتمامات الخطاب، "وسواء أكان هذا المستوى التداولي من التحليل مندرجا في النحو– في مأخذه العام– أو كان يؤسس فرعا من نظرية لسانية مستقلة ينبغي أن ترتبط على وجه متسق بالنحو[22]"، والدراسة هنا يجب عليه إيلاء عناية خاصة بالوظائف التي تحيط بالنحو، "والجزء المقبول المعتبر من جهة النحو أعني ما حصلت له الصفة النحوية، إنما ينتمي إلى خواص معينة من البنية المجردة للعبارات، وهي الوظيفة الفونولوجية، والصرفية المورفولوجية والتركيبية، وزيادة على هذه الخواص المعتبرة (في الشكل الصوري) فإن النحو يقتضي أيضا تخصيص معنى البنية المرتبطة بالأشكال الصورية، وإن كان معنى العبارات المتلفظ بها، ليس على وجه الدقة(جزءا) من تركيب العبارات. وإنما يتحدد معنى العبارة باستعمال المتكلم للغة. وبهذا الاعتبار، فعادة ما يوصف النحو على وجه التقريب بكونه نسقا نظريا صوريا دلاليا مكونا من قواعد: وكان ينبغي أن نخصص أيضا كيف أن التراكيب الشكلية الصرفية ترتبط بالبنيات الدلالية السيمانطيقية[23]"، ولا يتأتى هذا إلا بالاستعمال الفعلي للغة ضمن الحياة اليومية للمتكلمين.

7.3 البنية الكلية عند فان دايك:

كل خطاب يتوفر على بنية كلية تلتحم بواسطتها أجزاؤه، ووظيفة القارئ أن "يصل إلى هذه البنية الكلية عبر عمليات متنوعة تشترك كلها في سمة الاختزال، على أن البنية الكلية ليست شيئا معطى، حتى وإن كانت هناك بنيات متنوعة أو مؤشرات على وجود هذه البنية، وإنما هي مفهوم مجرد (حدسي) به تتجلى كلية الخطاب ووحدته[24]"،يبحث فان دايك عن بنيات لغوية للبرهمة على أن البنيات الكلية موجودة، أي أن "مجموعة المتتاليات التي ليست لديها بنية كلية تعتبر غير مقبولة في السياقات التواصلية[25]"، لأجل ذلك كله يتبنى ثلاث بنيات تتمثل أولها في خيبة توقع المتلقي التي تأتي تباعا لرفضه متتالية خطاب غير

متوفرة على بنية كلية تنظم أنساقه، ثانيها هي البنية التي تخفف عن المتلقي مهمة جمع شتات البنيات وهي تتجلى في ظهور جمل متنوعة إما في بداية متتالية الجمل أوفي نهايتها تحيل على قضايا كلية تعمل على تحقيق إدراك الفهم من خلال تهيئة البنية الكلية أما البنية اللغوية الثالثة فهي كل ما تحيل عليه الضمائر وأسماء الإشارة وغيرها.

ولعل تحقيق التداولية لمطالبها لا يكون إلا بالخروج بعيدا عن أسوار النص، ذلك أن"النظرية اللسانية تهتم بأنساق اللغة الطبيعية أعني تراكيبها المتحققة أو الممكنة التحقق، وبتطورها التاريخي وبمختلف أنشطتها الثقافية ووظيفتها المجتمعية، وأسسها المعرفية، وفي العادة إنما تصاغ هذه الأنساق من حيث هي أنساق صياغة واضحة من قواعد متواضع عليها من شأنها أن تحدد نوع السلوك اللغوي كما يظهر هو ذاته في استعمال العبارة الكلامية اللفظية في كل موقف ومقام تواصلي[26]"، فالنسق اللغوي الخاص بالجماعة هو الذي يحدد العبارات الكلامية والتي تخضع نفسها لقواعد متواطأ عليها، ويبقى الموقف هو الذي يفرض نمط السلوك اللغوي.

8.3 التداول والخطاب والنحو لدى فان دايك:

إن "التلفظ بعبارات اللغة الطبيعية يمكن من الوجهة النظرية أن تعاد صياغته، وهيكلته باعتبار متواليات من الجمل، تكون فيها الخواص الصرفية (المورفولوجية)، والوظيفة (الفونولوجية)، والتركيبية والدلالية معتبرة في علاقاتها مع خواص جمل أخرى للمتوالية وعلاوة هذا التعرف والاعتراف بدور هذه المتوالية (في سياق شفوي)، مثلا عند تفسير مثل هذه المفاهيم، بالنظر إلى الاتساق، فإن متوالية (من الجمل) قد درست أيضا في مكانها الحقيقي أعني من حيث هي خطاب[27]"، فالتوجه بالبحث إلى نحو النص في إطار رؤية لسانية خاصة أصبح ضمن مميزات الخطاب، على النقيض من العناصر الأخرى التي

توجهت بالبحث إلى ميادين أخرى من العلوم الإنسانية، كعم النفس المعرفي وعلم الاجتماع وغيرهما.

واللغة الطبيعية للخطاب لم تأخذ كفايتها من التفسير، ذلك أن "العلاقات بين الجمل والقضايا يمكن أن توجد بدون أن يتم التعبير عنها، وهذا هو السبب الذي من أجله كان كل تركيب نظري للنص ضروريا لتبيين كيف يمكن أن تؤول ضروب الخطاب على وجه الاتساق، حتى ولو ظل معظم القضايا المحتاجة إلى إثبات اتساقها ضمنية غير صريحة، مثل القضايا المستلزمة لقضايا أخرى عبر عنها على وجه صريح في الخطاب[28]"، وقد أطلق فان دايك على القضايا المسلم بها لتحقيق الاتساق النظري للنص ولا تظهر صريحة في الخطاب، أطلق عليها الحلقة المفقودة.

أصبح التركيز على العملية التواصلية أساس الخطاب الذي هو"مرتبط على وجه الاطراد بالفعل التواصلي، وبعبارة أخرى، فإن المركب التداولي ينبغي ألا يخصص الشروط المناسبة للجمل ومقتضى الحال فيها بل يخصص هذا المركب ضروب الخطاب أيضا[29]"، أي أن مراعاة مقتضى السياقات التي يرد فيها الخطاب شرط أساسي لتحقيق الدائرة الكلامية. ولعل مقبولية العبارات وإمكانية تأويلها كفيل بإعادة صياغة العبارات المنطوقة الذي يعد شرطا لتحقيق ما يسمى بالخطاب، أي أن "العبارات التي يمكن أن تحدد البنية الخاصة بالنص قد تصبح خطابا مقبولا في اللغة –في هذا المستوى من اعتبار صفة القبول أي تصير جيدة التعبير، قابلة للتأويل، وعلى هذا الاعتبار فلا نشغل بالنا بإمكانية وجود هذه العلاقة الحوار–الخطاب أي انتظام متوالية (سلسلة) العبارات مما يتلفظ به أصناف المتكلمين. ولكن يجوز أن نقبل بأن مثل هذه المتوالية من العبارات يمكن أن تكون لها أيضا بنية نصية شبيهة بذلك (الحوار الداخلي) الخطاب[30]"، يمكن القول أن ممارسة اللغة تواصليا

يكشف أن إدراك اللغة لا يخضع لنواميس دقيقة، مما يجعلها تختلف وتتباين بين المتخاطبين تبعا للسياقات الواردة فيها.

يضيف جاك موشلار وآن روبول مثالا لتأكيد الفرضية السابقة، إذا قال أحدهم: الجو بارد، فإنه على متلقي هذا الخطاب ألا يقتصر على المستويين التركيبي والدلالي له، بل عليه أن يوسع فهمه إلى المقصد من الكلام، فهو مطالب بممارسة تداولية بتقديم افتراضات تمثل الحالة الذهنية للمتلقي. كما يفترض أن يناسب المقال المقام فيكون المقصد هنا ليس الإخبار عن العالم أي أنه لا ينتج جملة تقريرية، وهو ما يدفعه إلى الاعتماد على معارفه وعلى المقام، وجميعها ذات صلة طبيعية غير لسانية، فيستنتج أن ما جاء في شكل نبأ تقريري هو في الواقع دعوة لفتح الحوار مع المتحدث ومبادلته أطراف الحديث، وهو أمر متعاهد عليه في الأعراف الاجتماعية، ويسمى تداوليا المعرفة المشتركة.

وقد ذهب موشلار وروبول إلى أن هناك حالات كثيرة تكون فيها المعارف المفترضة أو المطلوبة غير اجتماعية مثل الرد على الاقتراح بتقديم القهوة: القهوة تمنعني من النوم. فلا وجود لقانون اجتماعي أو غيره يسمح بفهم هذا الجواب الذي يحمل تأويلين أولهما أنه يوجد فيلم تريد مشاهدته في ساعة متأخرة، وثانيهما يتعين عليك قطع مسافة طويلة بالسيارة في اليوم التالي ولذا يجب أن تنهض باكرا جدا[31].

وقد كان النحو ولا يزال يمثل القاعدة الأولى للدخول في عالم التداولية، "وسواء أكان هذا المستوى التداولي من التحليل مندرجا في النحو – في مأخذه العلمي– أو كان يؤسس فرعا من نظرية لسانية مستقلة ينبغي أن يرتبط على وجه متسق بالنحو[32]"، لأنه الأساس الذي تنطلق منه التداولية، و"إذا تهيأ لنا أن نحمل مفهوم النحو على أوسع معانيه وأدقها من الناحية المنهجية، بإدراجنا المكون التداولي، والمرجع الدلالي، وشروط التأويل الناتجة عن

معرفة العالم الدلالية، وكذلك علم السيمانطيقيا الكلي، كنا حينئذ قادرين أن نفسر كثيرا من الخصائص العامة للخطاب من خلال النحو ذاته[33]"، ذلك بالتركيز على العلاقات بين الدوال ومستعمليها والسياقات التي تنسجم معها بعيدا عن المرجع.

يضيف فان دايك أن" الصفة التأويلية حتى وإن اختصت بالجمل المنفصلة والعبارات، فإنها تقتضي مرجعا ما، اقتضاءها لشروط معرفة العالم، ثم إن العبارات الداخلة في تكوين الجمل المفيدة إنما ترتبط بما محل الجملة الذي يمكن أن يتجاوز أبعد مدى من حدود نهاية الجملة مما يتطلب سيمانطيقا عامة عليا مخصوصة بانتظام متوالية الجمل الكبرى[34]"،ثم يذهب فان دايك إلى أن الخطاب التام يشير إلى كل الوقائع التي تعبر عن سياق محدد تتوفر في الخطاب، وإذا أمعنا النظر نجد أن الوقائع المشكلة لمقام ما ليس في المستطاع حصرها، هذا ما يجعل الخطابات غير تامة وهي حسب دايك لا يحتاج إلى أن تكون بهذا الوصف، لأجل ذلك يقوم المتكلم بانتقاء المعلومات الضرورية لتشكيل الخطاب، فيصبح خطاب اللغة الطبيعية غير صريح مقارنة بخطاب اللغة الصورية، مما يجعل المخاطب(المتلقي) يلجأ إلى الاستدلال للوصول إلى فهم وتأويل الخطاب.

رؤية فان دايك للخطاب[35]

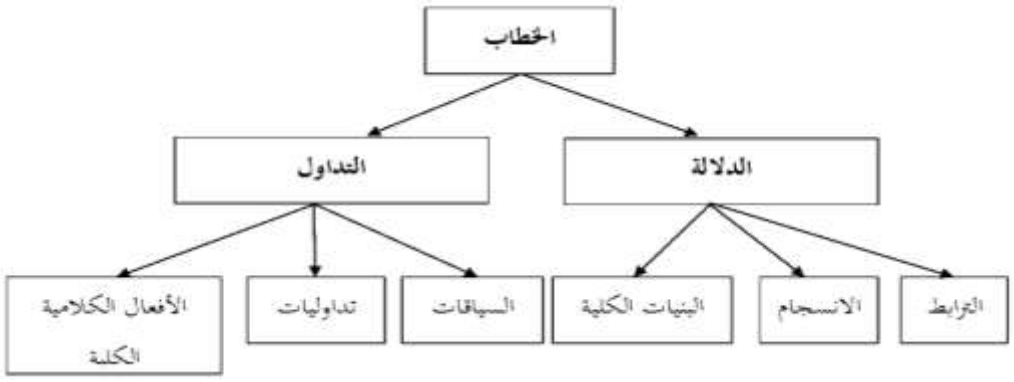

يعرف فان دايك التداولية على أنها علم يبحث في الأفعال اللغوية، وما يسند للمنطوقات اللغوية من وظائف وأوصاف في التواصل الاجتماعي، والتداولية عنده هي أيضا "دراسة الأسس التي نستطيع بها أن نعرف إن لم تكن مجموعة من الجمل شاذة تداوليا أو تعد في الكلام المحال[36]"، فتصبح إزاحة الغموض عن تلك الجمل قاعدة أساسية تقوم عليها التداولية، وهو ما يعنى بلم شتات التداولية كلها.

التداولية تبتعد عن حدود الجملة لتأخذ مسارا وظيفيا، لذلك "تشكل المعرفة اللغوية امتلاك المتكلم السامع للأوضاع المتعارف عليها في عشيرته اللغوية، أي القواعد التي تكون نسق لغته، هذه القواعد، كما أسلفنا، قواعد تربط بين الخصائص البنيوية للغة والخصائص الوظيفية[37]"، فالتداولية بهذا الطرح تعنى بالبحث في مستويات التركيب اللغوي استنادا على مرجعيات غير لغوية.

9.3 يورغن هابرماس:

ذهب هابرماس مذهبا اجتماعيا في نظرته للتداولية، وهي عنده "نواة عالمية كذلك كما هو الأمر بالنسبة للكفاءة اللسانية، إذ تصف النظرية العامة للفعل الخطابي النظام الأساسي للقواعد التي يلم بها الفاعلون، والمتكلمون، والتي تسمح لهم باستيفاء الشروط لاستعمال خاص للجمل[38]"، فأصبح توظيف يورغنهابرماس لمفاهيم التداولية في إطار اللغة البشرية، لتحقيق عقلانية تواصلية تنظم الخطاب مما يكفل تحقيق تواصل بشري مبني على التفاهم والتفاعل الحواري.

تعمل تداولية هابرماس على "إعادة ربط النسيج الاجتماعي المتشظي والمتبعثر ، وإعادة الذوق لحياة غدا البشر فيها نياما وما هم بنيام، من خلال بلورة تفاعل اجتماعي يعيد

الحرارة إلى شرايين المجتمع المعطوبة."[39]وذلك بالخروج من إطار الجملة إلى التفاعل الخطابي الذي يجمع كل المقاصد.

فالتداولية فهذا الطرح تؤكد أن الفكرة النظرية لا تجد نفعا إلا إذا طبقت في الواقع التواصلي.

أما يول فيذهب إلى أن التداولية هي "دراسة اللغة في الاستعمال in use أو في التواصل In interaction ان انتركشن خاصة وأنه يشير إلى أن المعنى ليس شيئا متأصلا في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده فصناعة الكلام تتمثل في تداول Negociation اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد(مادي واجتماعي ولغوي) وصولا إلى المعنى الكامن في كلام ما[40]"،فالتداولية إذن تتحقق بتقصي استعمال اللغة في الخطاب لإثبات كفاءتها التواصلية.

تثبت التداولية المقدرة اللغوية للمتكلمين في مجال الاستعمال وتتعرف على القدرات الإنسانية في التواصل اللغوي، ومن هنا تكون جديرة بأن تسمى علم الاستعمال اللغوي الذي جمع بين داخل النص وخارجه.

6. خاتمة:

المقاربة التداولية هي دراسة العلامات في تمثلها عند مستعمليها، ويتجلى ذلك في التركيب والدلالة والوظيفة، لذلك أمكننا تسميتها العلم الذي يدرس المعنى مركزا على العلاقات بين العلامة ومستعملها إضافة إلى السياق، بعيدا عن المرجع والتركيب.

تفرض التداولية على المتكلم ضرورة اختيار الكلمات التي يستعملها وفق الفضاء الاجتماعي الذي ستتأثر به اللغة أيضا لاحقا، مما يجعل التداولية مجال عمله يتحدد بالخطاب لتؤكد على كفاءة اللغة الخطابية.

التداولية تجمع بين المنحى الوصفي والمنحى التفسيري، لأن الجمهور في حاجة إلى تفسير الظواهر الثقافية أكثر من وصفها وأن الوصف وحده يبعد العمل الأدبي عن البيئة والمجتمع.

نتائج:

- تحقق المقاربة التداولية للغة مقدرة خطابية، تقترن هي الأخرى بالكفاءة التواصلية التي تكتسبها.
- تتحكم العشيرة اللغوية في امتلاك المتكلم للمعرفة اللغوية.
- تربط التداولية الخصائص البنيوية للغة بنظيراتها الوظيفية.
- تعنى التداولية بتعقب الأسباب التي تؤثر في انتقاء الفرد للغة وتأثير هذا الانتقاء على الجماعة اللسانية المحيطة به.
- تجمع التداولية بين الرؤية البنائية الوصفية والمنحى التفسيري، لأن المتكلم يحتاج لتفسير الملامح الثقافية أكثر من حاجته لوصفها.

الهوامش:

[1] الصبيحي، محمد الأخضر، المناهج اللغوية الحديثة وأثرها في تدريس النصوص بمرحلة التعليم الثانوي، مخطوطة أطروحة دكتوراه دولة، شعبة العلوم الإنسانية، جامعة قسنطينة، 2004م، ص114.

[2] العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، الجزائر، منشورات الاختلاف، ط1، 2011، ص ص75-76.

[3] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، ج2، دال الجيل، ط2، 1991، ص314.

[4] طه عبد الرحمان، تجديد المنهج في تقويم التراث، الدار البيضاء، لبنان، المركز الثقافي العربي، ط2، ص244.

[5] ينظر :آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم: علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدين دغفوس، ومحمد الشيباني، ومراجعة: لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، يوليو2003، ص28.

[6] أرمينكو فرانسواز، المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، بيروت، مركز الإنماء القومي، دط، 1986، ص9.

[7] ينظر: آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص ص28-29.

[8] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مصر، دار المعارف، 2002م، ص9.

[9] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص11.

[10] أرمينكو فرانسواز، المقاربة التداولية، ص16.

[11] المرجع نفسه، ص80.

[12] نفسه، ص49.

[13] محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص14.

[14] الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة : محمد يحياتن، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1986، ص60.

[15] ينظر: فيليب بلاشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار، ط1، 2007، ص15.

[16] ينظر: فيليب بلاشيه، المرجع نفسه، ص16.

[17] المرجع نفسه، ص17.

[18] الثامري، عادل، التداولية ظهورها وتطورها، مقال على الرابط:
www.annaba23.com/book/downloadattach-42-html

[19] فان دايك، النص والسياق – استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني، بيروت، إفريقيا الشرق، دط، 2000، ص14.

[20] فان دايك، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[21] فان دايك، المرجع نفسه، ص 17.

[22] فان دايك، المرجع نفسه، ص19.

[23] فان دايك، المرجع نفسه، ص18.

[24] محمد خطابي، لسانيات الخطاب مدخل إلى انسجام الخطاب، بيروت، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 1991م، ص46.

[25] فان دايك، النص والسياق– استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ص 150.

[26] فان دايك، المرجع نفسه، ص 17.

[27] فان دايك، المرجع نفسه، ص 13.

[28] فان دايك، المرجع نفسه، ص139.

[29] فان دايك، المرجع نفسه، ص 20.

[30] فان دايك، النص والسياق ، ص 19.

[31] ينظر: آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص 21.

[32] آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص21.

[33] فان دايك، النص والسياق– استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ، ص25.

[34] فان دايك، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[35] ينظر: محمد خطابي، لسانيات الخطاب مدخل إلى انسجام الخطاب، ص27.

[36] عبد القادر المهيري وآخرون، أهم المدارس اللسانية، تونس، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، ط2، 1990، ص95.

[37] أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط2، 2010، ص86.

[38] الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها، تر: محمد يحياتن، بن عكنون–الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ص6.

[39] حسن مصدق، يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت: النظرية النقدية التواصلية، الدار البيضاء، المغرب، وبيروت، لبنان، المركز الثقافي العربي، ط1، 2005، ص124.

[40] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص14.